@ 208 @ الشامل الصادر من خزائن رحمته ، التي لا ينقصها الإنفاق ، ولا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار . لو اجتمع أهل السماوات ، وأهل الأرض ، أولهم وآخرهم ، فسأل كل واحد منهم ، ما بلغت أمانيه ، ما نقص من ملكه شيئا . ذلك بأنه جواد واجد ماجد ، عطاؤه كلام ، وعذابه كلام . ^ (إنما أمره لشيء إذا أراد شيئا ، أن يقول له كن فيكون) ^ . ومن تمام غناه ، أنه كامل الأوصاف . إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه ، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال . بل ، له كل صفة كمال ، ومن تلك الصفة كمالها . ومن تمام غناه ، أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولا شريكا في ملكه ، ولا ظهيرا ، ولا معاونا له على شيء ، من تدابير ملكه . ومن كمال غناه ، افتقار العالم العلوي والسفلي ، في جميع أحوالهم وشؤونهم ، إليه ، وسؤالهم إياه ، جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة . فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة ، وأغناهم وأقناهم ، ومن عليهم بلطفه ، وهداهم . وأما الحميد ، فهو من أسماء ا تعالى الجليلة ، الدال على أنه هو المستحق لكل حمد ، ومحبة ، وثناء وإكرام . وذلك لما اتصف به من صفات الحمد ، التي هي صفة الجمال والجلال ، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال ، فهو المحمود على كل حال . وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين ! 2 2 ! فإنه غني محمود ، فله كمال من غناه ، وكمال من حمده ، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر . ثم كرر إحاطة ملكه ، لما في السموات والأرض ، وأنه على كل شيء وكيل . أي : عالم قائم بتدبير الأشياء ، على وجه الحكمة ، فإن ذلك ، من تمام الوكالة . فإن الوكالة تستلزم العلم ، بما هو وكيل عليه ، والقوة ، والقدرة على تنفيذه وتدبيره وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة . فما نقص من ذلك ، فهو لنقص بالوكيل . وا تعالى منزه عن كل نقص . أي : هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشيئة النافذة فيكم 2 ! .2 ! ! 2 2 ! غيركم ، هم أطوع منكم وخير منكم . وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم ، وإعراضهم عن ربهم ، فإن ا لا يعبأ بهم شيئا ، إن لم يطيعوه ، ولكنه يمهل ، ويملي ، ولا يهمل . ثم أخبر أن من كانت همته وإرادته دنية ، غير متجاوزة ثواب الدنيا ، وليس له إرادة في الآخرة ، فإنه قد قصر سعيه ونظره ، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا ، سوى ما كتب ا لها منها . فإنه تعالى ، هو المالك لكل شيء ، الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة ، فليطلبا منه ، وليستعن به عليهما . فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به ، والافتقار إليه على الدوام . وله الحكمة تعالى ، في توفيق من يوفقه ، وخذلان من يخذله ، وفي إعطائه ومنعه . ولهذا

قال : ! 22 ! . ! 2 2 ! ثم قال تعالى : ! 2 2 ! الآيتين . يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ! 2 2 ! . والقوام ، صيغة مبالغة ، أي : كونوا في كل أحوالكم ، قائمين بالقسط ، الذي هو العدل في حقوق ا ، وحقوق عباده . فالقسط في حقوق ا ، أن لا يستعان بنعمه على معصيته ، بل تصرف في طاعته . والقسط في حقوق الآدميين ، أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك ، كما تطلب حقوقك . فتؤدي النفقات الواجبة ، والديون ، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، من الأخلاق والمكافأة ، وغير ذلك . ومن أعظم أنواع القسط ، القسط في المقالات والقائلين . فلا يحكم لأحد القولين ، أو أحد المتنازعين ، لانتسابه أو ميله لأحدهما . بل يجعل وجهته ، العدل بينهما . ومن القسط أداء الشهادة ، التي عندك على أي وجه كان ، حتى على الأحباب ، بل على النفس ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : فلا تراعوا الغني لغناه ، ولا الفقير بزعمكم رحمة له . بل اشهدوا بالحق ، على من كان . والقيام بالقسط ، من أعظم الأمور ، وأدلها على دين القائم به ، وورعه ومقامه في الإسلام . فيتعين على من نصح نفسه ، وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام ، وأن يجعله نصب عينيه ،